وزالت المسرة وبقيت الحسرة فوا رحمتاه لصب جمع بين الحسرتين حسرة فوت
المحبوب الاعلى والنعيم المقيم وحسرة ما يقاسيه من النصب في العذاب الاليم
فهنالك يعلم المخدوع اي بضاعة اضاع وان من كان مالكه وقلبه لم يكن يصلح
ان يكون له من جملة الخدام والاتباع فاي مصيبة اعظم من مصيبة ملك انزل عن
سرير ملكه وجعل من لا يصلح ان يكون مملوكه اسيرا وجعل تحت امره ونواهيه
مقهورا فلو رايت قلبه وهو في يد محبوبه لرايته كعصفورة في يد طفل يسومها حيا
من الردى والطفل يلهو ويلعب ولو شاهدت حاله وعيشته لقلت

وما في الارض اشقى من محب ... وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة او لاشتياق
فيبكي ان دنا واشوقا اليهم ... ويبكي ان دنوا حذر الفراق

ولو شاهدت نوحه وراحته لعلمت ان المحبة والمنام محال تعالى هذا وتعالى
لغة ان ليس يلتقيان ولو شاهدت فيض مدامعه ولهيب ناره في احشايه
لعلمت سبحان رب العرش متقن صنعه وموله الاضداد دون تعانده
فطر تولد من لهيب في الحشا ... ما ونار في محل واحد ولو شاهدت مسلك
الحب في القلب وتغلغله فيه لعلمت ان الحد اللطف مسلكا ... فيه من الارواح
في ابدانها فهل يليق بالعاقل ان يبيع هذا الملك المطاع لمن يسومه سوء العذاب
ويوقع بينه وبين وليه ومولاه الحق الذي لا غنا له عنه ولا بدل له منه وهو بلاؤه العظيم
الحجاب فالمحجوب احبه قتيل وهو له عبد خاضع ذليل ان دعاه لباه وان
قيل له ما تتمنى فهو غاية ما يتمناه لا يأنس بغيره ولا يسكن الى سواه فحقيق به
ان لا يمل رقه الا لاجل حبيب وان لا يبيع نصيبه منه بابخس نصيب

فصل

اذا عرف هذا فاصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والارادة فهما مبدا جميع الافعال
والحركات كما ان البغض والكراهة مبدا كل ترك وكف اذا قيل ان الترك والكف امر
وجودي كما عليه اكثر الناس وان قيل انه عدمي فيكفي في عدمه عدم مقتضيه
والتحقيق ان الترك نوعان ترك هو امر وجودي وهو كف النفس ومنعها وحبسها
عن الفعل فهذا سببه امر وجودي وترك وهو عدم محض فهذا يكفي فيه عدم
المقتضي فالقسم الترك الى قسمين قسم يكفي فيه عدم السبب المقتضي وجوده وقسم

يستلزم

يستلزم وجود السبب الموجب له من البغض والكراهة وهذا السبب لا يقتضي
بمجرده كف النفس وحبسها الا لقيام سبب من المحبة والارادة يقتضي امر اهو احب
اليه من هذا الذي كف نفسه عنه فيتعارض عنده الامران فيؤثر خيرهما واعلاهما وانفعهما
له واحبهما اليه على ادناهما فلا يترك محبوبا الا لمحبوب هو احب اليه منه ولا يرتكب
مبغوضا الا ليتخلص منه مبغوض هو اكره اليه منه ثم خاصة العقل واللب التمييز بين
مراتب المحبوبات والمكروهات بقوة العلم والتمييز وايثار اعلى المحبوبين على ادناهما و
احتمال ادنى المكروهين للتخلص من اعلاهما بقوة الصبر والثبات واليقين فالنفس
لا تترك محبوبا الا لمحبوب ولا تحتمل مكروها الا لتحصيل محبوب او للتخلص من مكروه
اخر وهذا التخلص لا يقصد الا لمنافاة المحبوب به فصار سعيها في تحصيل محبوباتها
بالذات واسبابه بالوسيلة ودفع مبغوضاتها بالذات واسبابه بالوسيلة فسعيه في
تحصيل محبوبه لما له فيه من اللذة وكذا سعيه في دفع مكروهه ايضا لما له في دفعه من
اللذة كدفع ما يولمه من البول والنجو والدم والقي وما يولمه من الحر والبرد والجوع و
العطش وغيرة لكن واذا علم ان هذا المكروه ينفي الما يحبه يصير محبوبا له وان
كان يكرهه فهو يحبه من وجه ويكرهه من وجه وكذلك اذا علم ان هذا المحبوب ينفي
الما يكرهه يصير مكروها له وان كان يحبه فهو يكرهه من وجه ويحبه من وجه
فلا يترك الحي ما يحبه ويهواه مع قدرته عليه الا لما يحبه ويهواه ولا يرتكب ما يكرهه
ويخشاه الا لاحد امرين وقوعه فيما يكرهه ويخشاه لكن خاصة العقل ان يترك ادنى
المحبوبين واقلهما نفعا لاعلاهما واعظمهما نفعا ويرتكب ادنى المكروهين ضررا
ليتخلص به من ادناهما ضررا فتبين بذلك ان المحبة والارادة اصل للبغض والكراهة
وعلة لها من غير عكس فكل بغض فهو لمنافاة البغيض للمحبوب ولولا وجود المحبوب
لم يكن البغض بخلاف الحب للشيء فانه قد يكون لنفسه لا لاجل منافاته للبغيض وبغض
الانسان لما يضاد محبوبه مستلزم لمحبته لضده وكلما كان الحب اقوى كانت قوة البغض
للمنافي اشد ولهذا كان اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وكان من
احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان فان الايمان علم
وعمل والعمل ثمرة العلم وهو نوعان عمل للقلب حبا وبغضا ويترتب عليهما عمل الجوارح
فعلا وتركا وهما العطاء والمنع فاذا كانت هذه الاصول الاربعة لله كان صاحبها

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)